اميل لودويج
Emil Ludwig

نفسيته — وكيف يكتب التاريخ

أتى اميل لوديج مصر فقابله كتابها . ودعت عقيلة سفير المانيا كل المشتغلين بالصحافة إلى حفلة شاى أقيمت فى منزلها لتقدم اليهم هذا العلم الفرد . فاموا دارها وتعرفوا بالزائر الكريم . و نشروا صورته فى جرائدهم ومجلاتهم ، واهتموا بسرد حوادثه ، ووصفوا حله وترحاله . لكنهم لم يكتبوا شيئاً عن فنه وعبقريته . فخيل الينا ونحن نقرأ ما اختصوه به أننا نطالع أخباراً عن شخص عادى أوجدته الظروف فى مركز سام ، لا عن كاتب فذ نقلت مؤلفاته إلى أكثر اللغات ، واهتم بها العالم باسره

لوديج مؤرخ يستوحى أبطاله

اعتاد المؤرخون أن يدونوا الحوادث اعتماداً على الوثائق التى تقع تحت أيديهم ، دون التفات إلى ماعداها ، ولا تطلع إلى درجة صحتها ، أو قابليتها للعرف . ولذا كانت كتاباتهم لاتمس غير العقل ، أما اميل لوديج فمؤرخ يستعين بالوحى والخيال على دعم وثائقه التاريخية ولذلك لم تقتصر كتاباته على العقل بل خاطبت تصوراتنا و تسللت إلى عواطفنا .

فاذا ما أراد أن يدون تاريخ شخص ظل شهوراً بل سنين يستعرض هذا الشخص فى مخيلته فيستوحى فعاله ، و يستنزل إلهامه ، و يعيش كل هذه المدة متقمصاً فى شخصيته كما قال عن نفسه . فيبدأ أمره بمعرفة الرجل الذى سيكتب حوادثه و يستجليها . و يتغلغل اليها فيزور الامكنة التى عاش فيها . ويحصر فكره فى فعاله وأعماله . مستقصياً دقائقها ، مستبطناً أهم شىء فيها . فيجتهد والحالة هذه فى أن يرى ببصيرته تلك الشخصية كما كانت فى حياتها ، وهى تدأب وتفكر

ومن ثم يتخيل البواعث التى أهابت بها فى المواطن العصيبة ، وحالتها الفكرية فى مواقفها التاريخية ، والدوافع الخفية التى كانت تحرك عواطفها ، وتستثيرها فى أهم أعمالها . فيتصور بذلك أبطال التاريخ بوضوح وجلاء ، ويندغم فى حياتهم

الداخلية والخارجية حتى يبدوا له كأنهم أحياء ، يأتون أعمالهم — حتى الخصوصية منها — بمرأى منه ومسمع . فيفوز منهم بما لم يفز به أصدقاؤهم الذين عاشروهم . لانهم لم يتوصلوا إلى استجلاء خوافى نفوسهم

وقد اتبع هذه الطريقة عندما ألف تاريخ نابليون ، فقد تسلل إلى سويداء نفسه فابدى مكنوناتها ، وأظهر ما انطوت عليه . حتى أنه يؤكد أن ماعزاه اليه غداة واقعة الاهرام ، يكاد يكون كله حقائق واقعية ، لايمسها الخيال

وكذلك كان تصرفه بتاريخ جوته و بسمارك والامبراطور غليوم . ولذا أقبل الناس على مصنفاته فقرأها بلذة و طالعوها بشوق عظيم .

وقد عاب عليه المؤرخون طريقته هذه وسموها التاريخ القصصى لكن العالم أجمع على أنها أحسن طريقة لجعل أشخاص التاريخ أحياء يتحركون ويعملون تحت أنظار القراء ، فيطالع هؤلاء على حوادثهم وهم يكادون يحسون بهم و يرونهم باعينهم . لأن المؤرخ مهما تقيد بوثائق التاريخ لابد أن يضع فى كتاباته شيئاً من روحه . فالوثائق لاتعبر إلا عن الحوادث الظاهرة البادية للعيان ، وهذه لاتكفى للحكم على شخصية بارزة فى عالم التاريخ و ابداء الدوافع الخفية التى سيرتها وهيأت طريقها فهيوليت تين نفسه ، ذلك المؤرخ المدقق . الذى يزن أقواله بميزان الروية والفحص لم يسلم من هذا (الخطأ ؟) الذى يعيبونه على لودويج ، فقد وضع فى تاريخه أشياء عديدة من نفسه الكبيرة ، ومخيلته الواسعة ، وقريحته الفياضة . حتى أن تاريخه : « أصل فرنسا الحديثة » لم يستسغ إلا لذلك

ومومسن لو لم يضف إلى كتابه : « التاريخ الرومانى » أشياء من نفسيته لما أقبل عليه الناس يستذوقونه بلذة

ولكن اميل لودويج بز كل هؤلاء ، فهو يضع فى أبطاله نفس الروح التى كانت تحركهم وتسيرهم فى حياتهم ، ويستوحى هذه الروح فتلهمه كل مايريد أن يثبته سواء كان من فعالهم الظاهرة ، أو من دوافعهم الخفية

هذه نبذة صغيرة الممنا فيها بنفسية هذا الكاتب الكبير الماماً بسيطاً مبينين نزعته وطريقة كتابته للتاريخ